ISSN
Print: 2695-2132 | Online: 2695-2118

The Impact of Islamic Values on Guidance and Reform through the Works of Sheikh Goni Modu Goni Kolo Al-Barnawi

أثر القِيَم الإسلامية في التوجيه والإصلاح من خلال مؤلفات الشيخ غوني مود غوني كولو البرناوي

By
Alkali Modu
Borno State Judiciary
Damboa Sharia Court

&
Ali Usman Ali
Department of Islamic Studies
University of Maiduguri

Abstract
This study aims to explore the impact of Islamic values on guidance and reform through the works of Sheikh Goni Modu Goni Kolo Al-Barnawi, highlighting their role in shaping both the individual and society according to Islamic principles. The researcher adopted the descriptive-analytical method by examining and analyzing the educational and poetic texts found in the Sheikh's writings, focusing on the moral, educational, and reformative values embedded within them. The study reveals that Sheikh Goni Modu Goni Kolo employed his works to promote numerous noble Islamic values, including Qur'anic recitation and reflection, maintaining kinship ties, enjoining good and forbidding evil, truthfulness, mercy, trustworthiness, generosity, self-purification, justice, benevolence, patience, asceticism, humility, and gentleness. The study further demonstrates that these values played a significant role in moral guidance and social reform, reflecting the Sheikh's profound Islamic scholarship and his commitment to educational poetry aimed at refining behavior and reforming society.

Keywords: *Islamic Values, Guidance and Reform, Goni Modu Goni Kolo, Educational Poetry, Islamic Literature, Islamic Education, Borno.*

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أثر القيم الإسلامية في التوجيه والإصلاح من خلال مؤلفات الشيخ غوني مود غوني كولو البرناوي، وبيان دورها في بناء الفرد والمجتمع وفق التصور الإسلامي. وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال تتبع النصوص الشعرية والتعليمية الواردة في مؤلفات الشيخ، وتحليل ما تضمنته من قيم تربوية وأخلاقية ودعوية. وتوصل البحث إلى أن الشيخ غوني مود غوني كولو قد وظّف مؤلفاته في ترسيخ جملة من القيم الإسلامية السمحة، من أبرزها: تلاوة القرآن الكريم وتدبره، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق، والرحمة، والأمانة، والكرم، وتزكية النفس، والعدل، والإحسان، والصبر، والزهد، والتواضع، والرفق. كما أبرزت الدراسة أن هذه القيم أدت دورًا مهمًّا في التوجيه والإصلاح الاجتماعي والتربوي، مما يعكس سعة ثقافة الشيخ الإسلامية واهتمامه بالشعر التعليمي الهادف إلى تهذيب السلوك وتقويم المجتمع.

الكلمات المفتاحية: القيم الإسلامية، التوجيه والإصلاح، غوني مود غوني كولو، الشعر التعليمي، الأدب الإسلامي، التربية الإسلامية، برنو.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنّ القيم الإسلامية تُعَدُّ من أهم الأسس التي يقوم عليها بناء الفرد والمجتمع في الإسلام، إذ تهدف إلى تهذيب السلوك الإنساني وتقويمه وفق مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة. وقد أولى العلماء والمربون عناية كبيرة بترسيخ هذه القيم من خلال مؤلفاتهم العلمية والأدبية؛ لما لها من أثر بالغ في التوجيه والإصلاح وبناء مجتمع تسوده الأخلاق الفاضلة والمعاملات الحسنة.

ومن بين هؤلاء العلماء الذين أسهموا في خدمة القيم الإسلامية الشيخ غوني مود غوني كولو البرناوي، الذي عُرف بعلمه الغزير، وشخصيته التربوية، واهتمامه بالشعر التعليمي والتوجيه الديني. فقد سخّر مؤلفاته ومنظوماته الشعرية لنشر المبادئ الإسلامية والقيم الأخلاقية، معتمدًا أسلوبًا تربويًا يجمع بين سهولة العبارة وجمال النظم وقوة التأثير، مما جعل مؤلفاته ذات أثر واضح في التوجيه والإصلاح داخل المجتمع.

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يسلط الضوء على جانب مهم من النتاج الفكري والأدبي للشيخ غوني مود غوني كولو، والمتمثل في إبراز القيم الإسلامية التي دعا إليها من خلال مؤلفاته، والكشف عن أثرها في تهذيب السلوك وترسيخ الأخلاق الإسلامية. كما يسعى البحث إلى بيان مكانة الشيخ العلمية والأدبية، ودوره في خدمة الثقافة الإسلامية والأدب التعليمي في مجتمع برنو.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبع النصوص الواردة في مؤلفات الشيخ، وتحليل ما اشتملت عليه من قيم ومبادئ إسلامية ذات أبعاد تربوية وإصلاحية.

كما تناول البحث جملة من القيم الإسلامية التي تجلت في مؤلفات الشيخ، ومن أبرزها: تلاوة القرآن الكريم وتدبره، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق، والرحمة، والأمانة، والكرم والجود، وتزكية النفس، والعدل، والإحسان، والصبر، والزهد، والتواضع، والرفق، مع بيان أثر هذه القيم في التوجيه والإصلاح الاجتماعي والتربوي.

المحور الأول: ترجمة الشيخ غوني مود غوني كولو

اسمه ومولده ونشأته

اسمه (محمد) وقد اشتهر بلقب غُوني مُودُ غُوني علي كُولُو البرناوي، ولد عام 1370هـ الموافق 1949م بمدينة ميدغري، التي ينسب إليها والده وجده. نشأ الشيخ في كنف والده العالم الحافظ المتقن التقي الزاهد غوني محمد بن علي كولو، فشبّ بين يديه ونهل من معينه العذب علما وأدبًا وصلاحًا، فحفظ القرآن وأجاده حتى لقب بـ"غوني"، ومعناه في اللغة العربية الماهر بالقرآن حفظا، وتجويدا وترتيلا وكتابة (يونس، 2012م ص: 8).

حياته العلمية

عاش الشيخ محبا للعلم، متعلقا به، وبديهي أن يكون كذلك إذ أنه نشأ في دار علم وفقه. فقد كان أبوه عالمًا جليلاً محترمًا بين المجتمع الذي يعيش فيه، إذ يعدّ من حفّاظ مدينة ميدغري المشهود لهم بالعلم والورع والتقوى. وكان ذلك قد انعكس

تماما في شخصية ابنه – الشيخ غُوني مُودُ – إذ غرس في نفسه مختلف الفنون المعرفية. فقد بدأ الشيخ غُونِي مُودُ دراساته الأولية عند والده حيث وفقه الله لحفظ كتابه العزيز في سن مبكر لدرجة أن كانت الوفود تأتي لزيارة الوالد ورؤية الطفل الصغير الذي رزقه الله موهبة الحفظ قبل البلوغ. وبعد إتقانه وتجويده للقرآن الكريم واصل دراساته في الفنون المختلفة حيث درس على أبيه كتبًا عديدة ومن أبرزها:

الفقه الإسلامي ومختصر الأخضري، والعشماوية في العبادات، ومرشد المعين، والرسالة، ومختصر خليل، والقرطبي في الفقه، وفي التوحيد كتاب صغرى الصغرى، وفي النحو متن الآجرومية، ملحة الإعراب، ومنظومة الخلاصة المشهورة بالألفية لابن مالك، وتفسير الجلالين للقرآن الكريم، بالإضافة إلى بردة المديح، الهمزية في مدح خير البرية، الوسائل المتقبلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لأبي زيد الفازازي الأندلسي، وغيرها من كتب في مختلف الفنون العربية والإسلامية (المرجع نفسه ص: 9).

أخلاقه:

كان الشيخ متميزا بمكارم الأخلاق وقد انعكست في حياته فضائل عدة تميز به عن غيره فتراه صاحبا يجعل من صحبته أخوة في الله بعيدا عن المداهنة ملازما لحسن الظن بعباد الله متحملا أذى الآخرين فتراه يصبر دائما في كل ما يلمّ به بعيدا قدر الإمكان عن الأخلاق السيئة والخصال المذمومة حسن المعاشرة مع الجيران والأهل زاهدا عن الدنيا، يعامل تلاميذه معاملة الأب لأبنائه.

ومن الجدير بالذكر أنه لا يهمه السعي في عورات الآخرين تراه دائما يدعو وخاصة في مواعظه أيام المولد وفي حلقات الدراسة إلى نشر العفو والمسامحة وحفظ العهود وقبول الاعتذار (التجاني، 2021م).

ومن أخلاقه الحميدة السعي والمسارعة في قضاء حوائج الآخرين والتحلي بالآداب الجليلة. وبالجملة فإن أخلاقه تمثل العفة والمروءة والإيثار والتواضع والرضا والقناعة جزاه الله عنا وعن الإسلام كل خير.

وفاته وثناء العلماء عليه

كان حدثا تاريخيا مؤلما لن ينساه الشعب البرناوي، وذلك في خضم تفشي جائحة كورونا، وشهدت البلاد الإغلاق الكامل في منتصف مارس عام 2020م، وكانت وفاته في السادس من شهر رمضان 1441هـ الموافق 2 مايو، 2020م (كولو، 2022م).

وعلى الرغم من حظر التجمعات فقد تخطّى الشعب بروتوكولات كورونا واجتمعوا في زاويته لحضور جنازته، وصلى على جثمانه الشريف الشيخ أبي بكر غونيمي، إمام المسجد المركزي لحارة بولوري. وتم دفنه بجوار مسجده العتيق بحارة مافوني، ميدغري ولاية برنو.

المحور الثاني: مفهوم القيم في الإسلام

القيم لغة: القيمةُ: واحدة القيَم، وأصله الواو؛ لأنه مقام الشيء. والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقامَوه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه، ويقال: كم قامت ناقتك؟ أي: كم بلغت؟ وقد قامت الأَمة مائدة دينار: أي بلغت قيمتها مائة دينار" (كولو، 2022م).

والقيم: جمع "قاماتٌ، وقِيمٍ كَعنب وهو قَويمٌ، وقَوّامٌ كشداد: حسن القامة... والقيمة بالكسر واحدة القِيَم، وماله قيمَةٌ إذا لم يدم على شيء، وقَوّمتُ السلعة واستقمته: ثمنته، واستقام: اعتدل، وقوَّمتُه: عدلته فهو قَويم ومستقيمٌ وما أقومَه

شاذٌ، والقوام كسحاب: العدل وما يعاش به، وبالضم: داء في قوائم الشاء، وبالكسر: نظام الأمر وعماده وملاكُه" (الفيزرو آبادي، د،ت ص: 170).

وهو كذلك اسم لما يقوم به الشيء، أي يثبت ، كالعماد والسناد: لما يعمد ويسند إليه... والإقامة في المكان: الثبا. وإقامة الشيء: تَوفِيَةُ حَقِّه... وتقويم الشيء: تثقيفه، قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [سورة التين: 4] . وذلك إشارة إلى ماخُص به الإنسان بين الحيوان من العقل والفَهم، وانتصاب القامة الدالة على استيلائه على كل ما في هذا العالم". (الأصفهاني، 1997م ص: 690 - 693)، ويتضح للقارئ من خلال هذا المفهوم أن مادة "قَوَمَ" استعملت في اللغة على معان مختلفة منها:

- نظام الأمور وأصلها
- قِوَام الشيء واعتداله
- ثمن الشيء وقيمته
- إعطاء الشيء ما يستحق
- الثبات والاستمرارية الدائمة في الأمور

ولعل ما يكون أقرب هذه المعاني المستعملة في اللغة العربية إلى موضوع البحث هو الثبات والدوام والاستمرار على الشيء، وهو الأمر الثابت الذي يحافظ عليه الإنسان ويداوم على مراعاته في جميع شؤونه (المانع، د،ت ص: 20).

واصطلاحًا: عُرّفت بعدة تعريفات، منها: أن القيم هي: "مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه" (كاظم، د،ت ص: 111). وبعبارة أخرى: "حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديًا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع، محددًا المرغوب فيه، والمرغوب عنه من السلوك". (زهران: 2013م ص: 132)

ولقد تعددت وتنوعت مفاهيم القيم، ومن خلال اطلاع الباحث على الأدبيات فقد تبين له أن هناك اختلاف في تعريف مفهوم القيم حسب مجال الدراسة، كالفلسفة، والاقتصاد، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وغير ذلك من المجالات. وسيعرض الباحث بعض تلك التعريفات:

عرّف بأنها: "عبارة عن معايير للحكم على سلوك الفرد في المجتمع، والتي تعمل على توجيه سلوكه، وتحدد استجابته في مواقف الحياة المختلفة، ويكتسبها الفرد في حياته، كما يكتسب المعارف، والمهارات، والعادات، والاتجاهات عن طريق الخبرة" (الخطيب، 2003م ص: 9).

القيم الإسلامية:

تعرّف القيم الإسلامية بأنها: "مجموعة الأنظمة والقوانين والتشريعات والمقاييس التي بينها الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، وبينها نبيه صلى الله عليه وسلم في سنته، أما الأمور التي لم يرد فيها نص شرعي فإن قيمتها تكمن فيما تحققه من خير للناس والمجتمع، بجانب الانسجام التام مع الدين الإسلامي وتعاليمه المؤثرة" (المرجع نفسه ص: 51).

فهي"مجموعة من المعايير المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وأصبحت محلّ اعتقاد واتفاق لدى المسلمين عن اقتناع واختيار، والتي من خلالها نحكم على السلوك الإنساني من حيث الرغبة فيه وعنه" (الجلاد، ص: 43).

وعرّفها العاجز والعمري بأنها: "القيم المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف الذي يعتبر "الحسن" هو ما وافق شرع الله واستوجب الثواب في الآخرة، ويعتبر [القبيح] هو ما خالف شرع الله، ويترتب عليه العقاب في الآخرة (المرجع نفسه ص: 13).

المحور الثالث: أثرُ القيمِ الإسلاميةِ في التوجيهِ والإصلاحِ من خلالِ المؤلفات المختارة للدراسة

واضح أنّ الشيخ غُوني مُودُ غُوني كُولُو عالم ربّاني، يؤكد ذلك ما وقف عليه الباحث من خلال تأليفاته التي تناولت مواضيع شتى، وقد كرّس أوقاته في سبيل نشر العلوم الإسلامية، ولطالما قضى عمره في بث القيم والمبادئ الإسلامية في نفوس طلابه الحافين زاويته كل يوم، فلا غرابة في أن تجسّد القيم الإسلامية مؤلفاته بشتى مواضيعها، تكاد لا تجد مؤلفا من مؤلفاته إلا وكانت دعوته الاعتصام بالقيم الإسلامية، ولذلك اختار الباحث خمسًا ضمن منتوجه الفكري ليجسّد مظاهر هذه القيم في هذا المبحث. وعليه، فيمكن الإشارة إلى أبرز ما تناولته مؤلفاته من القيم الإسلامية فيما يلي: تلاوة القرآن وتدبره، صلة الأرحام، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الصدق، الرحمة، الأمانة ،الكرم والجود، تزكية النفس، العدل، الإحسان، الصبر، الزهد، التواضع، الرفق. وسيتم تفصيل القول في كل منها وفقا لما يلي:

1) تلاوة القرآن وتدبره:

تعتبر تلاوة القرآن الكريم مما يرفع درجات المؤمن في الدنيا والآخرة، ويسبب نزول السكينة والرحمة، وشفاعة لصاحبه في القبر ورفع لدرجات المؤمن في الدينا والآخرة. فمما أكثر الشيخ غُوني مُودُ الدعوة إليها تلاوة القرآن الكريم وتدبره مشيرا إلى أهميته وطرق أدائه، يقول:

أَضِفْ لِذِي تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ** بِالْفَهْمِ مَعْ تَدَبُّرِ الْمَعَانِي

حيث أشار إلى أنه من القيم الإسلامية تلاوة القرآن مع التدبر، وهذا واضح في قوله سبحانه وتعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [سورة محمد: 24] وآيات أخرى، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللَّهِ تعالى يتلونَ كتابَ اللَّهِ ويتدارسونَه بينَهم إلَّا نزلت عليهمُ السَّكينةُ وغشيتهمُ الرَّحمةُ وحفَّتهمُ الملائِكةُ وذَكرَهمُ اللَّهُ فيمن عندَه" (آبادي، 1969 حديث رقم 1455 عن أبي هريرة رقم 2699)، ولم يقف عند هذا الحد فقد تكررت هذه الدعوة في أكثر من موقف وذلك في قوله:

كَذَا الْغَضَبُ وَالنُّطْقُ بِالتَّوْحِيدِ ** تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّمْجِيدِ

وقوله:

وَذِكْرُكَ الْقُرْآنَ أَعْلَى وَأَجَلْ ** مِنْ سَائِرِ الذِّكْرِ فَكُنْ مِمَّنْ أَجَلْ

مما يضاهي قوله تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [سورة القمر: 17]وقوله:

وَخُذْ وِرْدًا تُؤَدِّي كُلَّ يَوْمٍ ** مِنَ الْقُرْآنِ تُصْبِحُ خَيْرَ نَالِ

يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الذي يَقْرَأُ القُرْآنَ وهو حافِظٌ له، مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، ومَثَلُ الذي يَقْرَأُ وهو يَتَعاهَدُهُ، وهو عليه شَدِيدٌ؛ فَلَهُ أجْرانِ) (البخاري، رقم 4937) إذن، فالحث على قيم ومبادئ التلاوة القرآنية من الأمور التي يُحمد لها وعلى المسلم التزامها وأن يعضها بنواجذه كما أشار الشيخ إلى ذلك في مختلف مؤلفاته. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن المؤلف يشير إلى كون القرآن هو الهدف والمصدر والغاية، ولابد من تشديد الالتزام به والإشارة إلى أهميته.

2) صلة الأرحام:

تُعَدّ صلة الرحم من أفضل ما يتقرّب به العبد إلى الله -عزّ وجلّ-، وهي تُعدّ من الأمور الواجبة على كلّ مسلم، كما أنّها تحقّ له؛ وذلك بأن يصل رحمه ويصلوه، وقد ربط الله -تعالى- بين صلة الرحم، والبركة في الوقت، والرزق، وجعلها سبباً لهما. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن أحبّ أن يُبسَط له في رزقه، ويُنسَأَ له في أثره، فليصل رحمه) (البخاري، رقم 3).

يقول الشيخ:

وَصِـــلْ رَحِمًا بِالْبِرِّ وَاصْـحَبْ أَقَارِبًا ** مِنَ الزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ مَعْ حُسْـنِ عِشْـرَةِ

يشير إلى أنه من الضروري صلة الرحم والبر للأقارب ومصاحبتهم، وهذا يتعلق بكافة أفراد الأسرة مع حسن معاشرتهم مما يجعل في دوره ترسيخ الوئام والمحبة بين الأهل والأقارب. يقول الله تبارك وتعالى مشيرا إلى أن أولي الأرحم أولى بالإحسان: (وَأُولُو الأَرحامِ بَعضُهُم أَولى بِبَعضٍ في كِتابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ) [سورة الأنفال: 75] .وفي الحديث: "صلة الرحم تزيد في العمر" (البخاري رقم 3858)، وقوله عليه الصلاة والسلام: "لا يدخل الجنة قاطع رحم" (الطبرسي، 2018 ص: 483) . إذن، فهذه النصوص المأثورة هي التي اعتمد عليها الشيخ للتعبير عن أهمية قِيَم صلة الأرحام.

3) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المعروف ما يستحسن من الأفعال، وكل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه. والمنكر يعني كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو يقبّحه الشرع أو يحرمه أو يكرهه (المعاني: عربي - عربي). يقول الشيخ في مطلع منظومة آداب الصحبة مشيرا إلى ما يجب التحلي به:

أَوَّلُـهَـا امْـتِـثَـالُ مَـا قَـدْ أَمَـرَا ** بِـهِ مَعَ اجْـتِـنَـابِ مَـا الـنَّـهْيُ جَـرَى

فهو يرى أنه من الضروري أن يمتثل الإنسان ما أمر الله تعالى به وأن يجتنب ما نهاه عنه، وقد قال الله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [سورة آل عمران: 110]. إذ أن القارئ يتبين له خلال مطالعة منظوماته رسوخ قِيَم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقريبا في كل المؤلفات.

4) الصدق:

شمل صدق اللسان والأفعال والأحوال؛ وأمّا صدق اللسان فيُقصد به مطابقة واستواء ما يصدر من اللسان على الأقوال، وصدق الأعمال يعني استواء الفعل على الأمر، وأمّا صدق الأحوال فيعني استواء الجوارح على الإخلاص، وقد حث الله -تعالى- على الصدق (الشدي، 2014م ص: 36)، فقال سبحانه: (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكونوا مَعَ الصّادِقينَ) [سورة التوبة: 119]. ومن مظاهر الدعوة إلى التحلي بقيم الصدق باللسان والأفعال والأحوال قوله:

وَهْيَ مُـدَارَاةٌ وَحُسْـــنُ الْخُـلْـقِ ** وَسَـــعَةُ الصَّـــدْرِ مَعًا وَالصِّـــدْقِ

قال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتَّى يَكونَ صِدِّيقًا، وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذّابًا) (البخاري، رقم 6094). إذن فالمداراة وحسن الخلق وسعة الصدر كلها قيم إسلامية تستحق التحلي بها، وأما الصدق فجوهري بحيث الأمور كلها لا بد أن تكون قائمة على أسس الصدق قبل كل شيء.

5) الرحمة:

ويُقصد بها الحالة الوجدانية التي تنبع من رقّة القلب وتقوم على مبدأ الإحسان، ومن صور رحمة الله -سبحانه- بالبشرية؛ إرسال محمد -عليه الصلاة والسلام -لهم، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [سورة الأنبياء: 107]، ومن صور رحمة النبي - عليه الصلاة والسلام - بأمّته النهي عن السؤال عمّا سُكت عنه، ومن رحمته بالنساء أنّه استوصى بهنّ خيراً، كما كان يُساعد أهله في عمل البيت رحمةً بهن، وكان يُقبّل الأطفال ويعطف عليهم ويُعاملهم بالشفقة واللين (الشدي، مرجع سابق ص: 42). هذا، وقد استطاع الشيخ بأسلوبه تخييم جو منظوماته العلمية بالدعوة إلى الرحمة وشتى أشكالها حيث قال:

وَلْتَرْحَمَنَّ مُشْفِقًا عَلَى جَمِيـ ** ـعِ خَلْقِهِ مُحْتَرِمًا وَعَظِّمِ

وقوله:

تَرْحَمْهُمُ تُرْشِدُهُمْ مَعْ صَبْرِ ** وَالْعَفْوُ عَنْهُمْ كَمَا فِي الذِّكرِ

يشير الشيخ هنا إلى ضرورة التعامل مع الخلق بالرحمة والشفقة والاحترام، فقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء) (أبو داوود، رقم 4941). وهذه أيضًا يمكن اعتبارها من القِيَم الإسلامية التي دعا إليها الشيخ. ومن مظاهر الرحمة أيضًا الإحسان إلى اليتامى، وقد قال الشيخ:

وَأَحْسِنْ إِلَى الْأَيْتَامِ وَامْسَحْ رُؤُوسَهُمْ ** وَأَطْعِمْهُمُ تُجزَى بِنَيْلِ السَّـعَـادَةِ

فالإحسان إلى اليتامى يعتبر بابا من أبواب الرحمة والشفقة لهم ويجلب هذا الأمر العبد إلى نيل رضى الباري عز وجل فقد ورد في الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا) (البخاري، رقم 1475).

6) الأمانة:

وتشمل أي حقٍ متعلق بالذمم، فتشمل العِرض والنفس والمال والتكليف الشرعي وغير ذلك، كما تشمل الأفعال والأقوال والاعتقادات، وأعظم الأمانات أمانة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- على رسالة الوحي التي كلّفه الله -تعالى -بتبليغها؛ فأدّاها على أكمل وجهٍ (الشدي، مرجع سابق ص: 69). وقد تشعبت الدعوة إلى الإلتزام بقِيَم الأمانة من خلال تأليفاته وفقا لما تم تعريفه حيث أنه قال:

أَدِّ أَمَـانَـةً وَمِـنْـهَـا الْـخَـمْـسُ ** وَالْـفَـرْضَ مَـعْ وَفَـائِـهِ لَا بَـخْـسُ

فأداء الأمانة ضروري يجب على المسلم التزامه، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) [سورة النساء: 58]، وفي الحديث "أد الأمانة إلى من ائتمنك" (الترمذي، 2008م رقم 1264) ثم الصلوات الخمس فهي أمانة الله في خلقه ويجب عليهم أداءها، وهذه موجودة بكثرة في مؤلفاته.

7) الكرم والجود:

وهما يدلّان على سعة وكثرة العطاء، وقد كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- أجود الناس وأكثرهم كرماً، وقد شمل عطاؤه أنواع الجود كله، فقد بذل نفسه وماله وعلمه في سبيل تبليغ دعوة الإسلام للبشرية، وكان سخيّاً يؤثر غيره على نفسه، لا يمنع سائلاً، ويلتمس أهل الحاجة فيعطيهم ما تيسّر لديه (الشدي، مرجع سابق ص: 61). يقول الشيخ:

تُعْطِيهُمُ الْمَعْرُوفَ دَوْمًا وَلْيَكُنْ ** ذَاكَ مَعَ الْإِيـثَـارِ فِيـهِ أَخْـلَـصُ

حيث يحث الناس على بذل المعروف مع الإيثار على النفس، وكأنه يدعم قوله بآية: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [سورة الحشر: 9] ويستمر في ذلك بقوله:

تَصَدَّقْ كَثِيرًا وَارْحَمِ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ ** وَجُدْ يَا أَخِي بِالْخَيْرِ تَحْظَ بِبُغْيَةِ

وقوله:

وَنَـادِ أُنَـاسًـــا لِلطَّعَـامِ لِتَظْفَرَا ** لِـذَا بِشِـــفَـاءٍ مَعْ نُمُوٍّ وَفُسْـحَـةِ

وقوله:

وَالْجُودُ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًـــا حُسِـــبَا ** وَمِنْـهُ الِاطْعَـامُ فَلَا تَسْـــتَـغْرِبَـا

فهذه الأبيات الثلاث كلها إشارة إلى ترغيب الناس للعطاء حيث الصدقة والدعوة إلى الطعام بلا انقطاع أمور يجب التحلي بها. وإنّ الأقوال المأثورة عن الكرم والجود كثيرة وهي أيضًا تعتبر من أرقى ما يتحلى بها المؤمن من قِيَم إسلامية نبيلة.

قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [سورة البقرة: 261] وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا"، (البخاري، مرجع سابق رقم 1442). وفي الجود ورد عن عبد الله بن عباس: قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ جوادٌ يحبُّ الجودَ، ويحبُّ معاليَ الأخلاقِ ويبغضُ سفسافَها" (أبو نعيم، مرجع سابق ج5 ص: 22).

8) تزكية النفس:

ويُقصد بها معنيان؛ الأول: التطهير؛ أي تطهير النفس من الآفات والعيوب المعنوية، والثاني: تنمية الفضائل وعناصر الخير التي تحقّق الصفاء وصلاح الدنيا والآخرة في النفس، وقد بُعث النبي محمد -عليه الصلاة والسلام -لتزكية البشر (أحمد، د،ت ص: 98 - 99)، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [سورة الجمعة: 2] ، ومن أمثلة هذه الأمراض والآفات النفسية والتي يدعو الشيخ إلى اجتنابها التزاما بقيم التزكية النفسية قوله:

سِتْرُ الْقَبَائِحِ كَذَا التَّوَاضُعُ ** حُبِّ الرِّيَاسَةِ كَذَاكَ الطَّمَعُ
تَرْكُهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الْخِصَالِ ** وَتَرْكُكَ الْبَغْيَ مِنَ الْكَمَالِ
وَتَرْكُكَ الْغِيبَةَ وَالْحِقْدَ كَذَا ** وَتَرْكُكَ الْحَسَدَ وَالْأَذَى خُذَا
وَكُلُّ مَا يَكْرَهُهُ إِخْوَانُ ** فَاجْتَنِبَنْهُ إِذْ بِهِ رِضْوَانُ

فحب الرياسة والبغي والغيبة والحقد والحسد وإيذاء الآخرين كلها تعتبر من معالم الأمراض النفسية التي يجب على المسلم أن ينسلخ عنها لتزكية نفسه وتطهيرها من هذه الأدران. وقد وردت آيات وأحاديث تدعو إلى اجتنابها وذم هذه الخصال السيئة، وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من حب الرياسة في قوله: "إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامةً يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة" (البخاري، مرجع سابق رقم 7148)، والبغي قد حرمه الله سبحانه بقوله: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [سورة الأعراف: 33]، كما أن الغيبة أيضًا محرمة بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) [سورة الحجرات: 12]. وبالنسبة للحقد فقد ورد الحديث عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تُرفَعُ الأعمالُ يومَ الاثنينِ والخميسِ فيُغفرُ للمستغفِرينَ ويترُكُ أهلَ الحقدِ لحقدِهم" (الذهبي، 2013م رقم 279).. وأما الحسد فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا ولا يبع أحدكم على بيع أحد وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله" (مسلم، رقم 279)، وأما في إذاية الناس فقد نهى الله سبحانه ذلك بقوله: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) [سورة الأحزاب: 58].

هذا، وقد استطاع الشيخ بعبقريته أن يجد لهذه الأمراض النفسية دواء بأسلوب شَيِّق من خلال منظوماته، فمن أمثلة مظاهر التحلي بقِيَم التزكية النفسية قوله يحث على كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول:

وَكَثِّرِ الصَّلَاةَ يَا حَبِيبِي ** عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى الْحَبِيبِ

وهذا ممتص من قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) وفي الحديث عن عامر بن ربيعة: "مَن صَلّى عليَّ صَلاةً، صَلّى اللهُ عليه عَشرًا" (الأصبهاني، ص: 180)، وقوله يحدثنا عما يعتبر من مقدمات تزكية النفس حيث يقول:

فَـأَوَّلُهَـا تَقْوَى الْإِلَـهِ الَّـذِي عَلَا ** تَوَكَّلْ عَلَيْهِ ذَا مِنَ انْفَعِ خَصْـلَةِ
وَمِنْهَـا أَدَاءٌ لِـلصَّـــلَاةِ بِـوَقْتِهَـا ** بَآدَابْ بِهَا مِنْهَا الْخُشُـــوعُ لِأَوْبَـةِ

فتقوى الله والتوكل عليه وأداء الصلوات المفروضة بالخشوع تعتبر منتهى القيم الإسلامية، وقد قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [سورة آل عمران: 102] وفي الحديث عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ وأتبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسنٍ" (الترمذي، مرجع سابق رقم 1987). وفيما يخص ضرورة الصلاة في وقتها ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "أفضل الأعمال الصلاة في أول وقتها" العسقلاني، 2003م رقم 55. ولأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، ووسيلة من وسائل تزكية النفس، والفحشاء والمنكر كلاهما مظهر من مظاهر أمراض القلوب. وفيما يخص الإكثار من الطهارة أدلة في القرآن والسنة، يقول الشيخ:

مَوَاظَبَـةٌ لِلطُّهْرِ دَوْمًـا فَعُـدَّهَـا ** فَذَلِكَ حَادِي عَشْرِهَا يَابْنَ خَالَتِي

ولعله اعتمد في ذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [سورة البقرة: 222] وقوله:

وَعِنْـدَ ابْتِـدَاءِ كُلِّ أَمْرٍ فَسَـمِّيَنْ ** وَلَا تَنْسَ ذِكْرَ اللهِ فِي كُلِّ حَـالَـةِ

حيث يشير إلى ضرورة الشروع في الأمور بالبسملة من حديث ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه: "كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأُ فيهِ ببسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ فَهوَ أقطعُ" (النووي، 2006م ص: 149)، وبالنسبة لذكر الله فقد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) [سورة الأحزاب: 41] وقوله:

وَتَسْـبِيحُـهُ حَقًّـا وَتَحْمِيـدُهُ أَتَى ** وتَـكْـبِـيـرُهُ وَالْـعَـدُّ مِـائَـةَ مَـرَّةِ

فقد قال الله سبحانه وتعالى: (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [سورة الأحزاب: 42] وفي الحديث عن كَعبِ بنِ عُجرةَ رضي الله عنه قالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "معقِّباتٌ لا يَخيبُ قائلُهنَّ سبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلَهَ إلّا اللَّهُ واللَّهُ أكبرُ مائةَ مرَّةٍ" (البخاري، 2006م ص: 485). وقوله:

تَـجْـرِيـدُ قَـلْـبٍ لِـلْإِلَـهِ حَـدُّهُ ** مَعَ احْتِقَـارِ مَـا سِـــوَى فَـانْتَبِهُوا
فَـرَاقِـبِ الْإِلَـهَ فِي الْأَحْـوَالِ ** جَـمِـيـعِـهَـا وَالْـغَـبْرُ لَا تُـبَـالِ

أشار هنا في كتاب التصوف إلى حد التصوف بأنه أن يجرد قلبه عن كل ما سوى الله وأن يزهد في الدنيا وأن يراقب الإله في جميع الأحوال، وهذا باب من أبواب إخلاص العمل لله سبحانه (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) [سورة النساء: 146] فإن لم يخلص الإنسان دينه لله فكيف بمقدوره عبادة الله على الوجه المطلوب؟ والمخلصون هم الذين وحّدوا الله في العبادة. وبالنسبة للزهد عن الدنيا واحتقارها ورد حديث عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ازْهَدْ في الدنيا يُحبُّك اللهُ، وازهَدْ فيما عند الناسِ يُحبُّك الناسُ" (النووي، مرجع سابق رقم 503)، وأما مراقبة الله في كل الأحوال فقد ورد فيه حديث: "اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ" (الترمذي، مرجع سابق رقم 1987).

ويستمر الشيخ بالحديث فيما يخص أبواب التزكية والتي يمكن اعتبار التوبة وكثرة الاستغفار أبواب تفتح على مصراعيها لكل من أراد أن يزكي نفسه فقد قال الشيخ:

وَإِنْ يَـرْجَـعْ إِلَى الْمَـوْلَى وَيَـنْـدَمْ ** فَـيَـقْـبَـلُـهُ وَيُـكْـرِمُ بِـالـنَّـوَالِ
وَمَنْ يُكْثِرْ لِلِاسْـتِـغْـفَـارِ يَظْفَرْ ** بِـغُـفْـرَانٍ وَأَمْـنٍ مِـنْ نَـكَـالِ

لإنّ التائب كما ورد (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [سورة التوبة: 102] وقوله: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [سورة التوبة: 104]، وقوله: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) [سورة هود: 3] وفي الحديث عن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "التّائبُ من الذّنبِ كمَنْ لا ذَنب له" (الطبراني، 2008م رقم 306).

9) العدل:

ويُقصد به مجانبة الظلم والجور، والتوسّط في الأمور، والتزام الحق، ولم يقتصر العدل في الإسلام على التشريعات والأحكام الإسلامية، وإنّما شمل حياة الفرد والمجتمع بكلّ ما فيها، وعلاقات الإنسان كلها، وعمل الإسلام على تحقيق العدل بأشكاله الثلاث؛ العدل القانوني الذي يعني سريان القوانين على جميع الناس دون تفرقةٍ بينهم، والعدل الاجتماعي الذي ألغى التفرقة بين طبقات المجتمع على اختلافها، وعمل على توفير الحياة الكريمة للناس جميعهم على اختلاف منابتهم وأصولهم، وأخيراً العدل الدولي الذي يُعنى برفع الظلم عن المظلومين ومنع استضعاف أحدٍ، والحرص على الوفاء بالعهود والمواثيق (أحمد، مرجع سابق ص: 93). وقد دعا الشيخ إلى الإلتزام بقِيَم الأدب مع السلطان إن كان عادلا إذ أشار بذلك في قوله:

آدَابُ صُـحْبَـةٍ مَعَ السُّـلْطَـانِ ** إِنْ كَـانَ ذَا عَـدْلٍ مَـعَ الْإِيـمَـانِ

فمن النصوص الواردة بخصوص قِيَم العدالة قوله تعالى: (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [سورة المائدة: 8] وقوله: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [سورة الأنعام: 152] [سورة:] وفي الحديث عن شداد بن أوس رضي الله عنه: "إنَّ اللّه تعالى كتَب العدلَ وإذا أراد أحَدُكم أنْ يذبَحَ فلْيُحِدَّ شفرتَه ولْيُرِحْ ذبيحتَه" (الطبراني، رقم 179). وقوله:

مِنْ ذَاكَ أَيْضًا صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ** ذِي الْـعَـدْلِ وَالْإِيـمَـانِ وَالْأَمَـانِ

وفي الرفق بعباد الله والقيام بأمورهم مع العدل أيضًا أشار بذلك في قوله:

وَالـرِّفْـقُ بِـالْـعَـبِـيـدِ وَالْـقِـيَـامُ ** بِـالْأَمْـرِ مَـعْ عَـدْلٍ وَذَا مَـرَامِ

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به" (مسلم، مرجع سابق رقم 1828).

10) الإحسان:

ويُقصد به في الشريعة الإسلامية عبادة الله -تعالى- كأنّ المرء يراه، وقد عرّف العز بن عبد السلام -رحمه الله- الإحسان بأنّه جلب منفعةٍ أو دفع مفسدةٍ (الزحيلي، 1986م ص: 678). يقول الشيخ:

وَأَكْرِمْ فَقِيرًا عَـائِلاً مَعْ مَسَـــاكِنٍ ** وَزُرْهُمْ مَعَ الْإِحْسَـانِ وَارْعَ مَقَالَتِي

حيث أشار إلى ضرورة إكرام الفقير والمسكين وزيارتهم مع الإحسان إليهم، وقوله مشيرا هنا أيضًا إلى ضرورة الإحسان لعباد الله وذلك بقوله:

حُـقُـوقُ اللهِ رَاعِ فِي الْأُمُـورِ ** وَأَحْسِـــنْ لِـلْـعِـبَـادِ بِـلَا كَـلَالِ

كما أشار هنا إلى أهمية قِيَمة الإحسان إلى الأيتام عن طريق إطعامهم ومؤازرتهم بقوله:

وَأَحْسِنْ إِلَى الْأَيْتَامِ وَامْسَحْ رُؤُوسَهُمْ ** وَأَطْعِمْهُمُ تُجْزَى بِنَيْلِ سَعَادَةِ

وقوله يحث إلى محبة الإخوان ومصاحبتهم ومداراتهم مع حسن عشرتهم حيث قال الشيخ:

تَحَبَّبْ إِلَى الْإِخْوَانِ وَاصْحَبْهُمُ أَخِي ** وَدَارِهِمُ بِالْقَوْلِ مَعْ حُسْنِ عِشْرَةِ

وفيما يخص إكرام الجار وحسن معاملتهم وجمع الأموال عن طريق الحلال يقول:

إِكْرَامُ جَارٍ حُسْنُكَ الْمُعَامَلَهْ ** جَمْعُكَ مَالًا مِنْ حَلَالٍ إِجْعَلَهْ

إن منتهى باب الإحسان كما سبق التعريف عنه يكمن في حديث ورد عن أبي هريرة وعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما: "الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يَراك"... (الألباني، د،ت رقم 2762) وأما ما يدعو إليه الشيخ خلال هذه الأبيات فمتعلق بقوله تعالى: (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) [سورة القصص: 77] ، إذ أنّه من الأهمية بمكان تقديم المعونة وحسن التعامل مع عباد الله كما كان قد أنعم الله عليك من نعمه فأحسِن إلى العباد شكرا له.

11) الصبر:

ضرب رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أروع الأمثلة في الصبر؛ فصبر على ضيق الحياة وشدتها، وعلى أذى المشركين وكيدهم له، وعلى إيذاء أهل الطائف له من استهزاءٍ وسُخريةٍ وعنتٍ، ومن أوجه صبره كذلك صبره على الطاعة؛ فقد كان يقوم الليل حتى تتفطّر قدماه بالرغم من أنّ الله -تعالى- قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر (الشدي، 2014م ص: 53). وقوله مشيرا إلى الصبر في تحمل مشقات السفر لأنه الباب للظفر:

دَارُكَ فَاحْتَمِلْ مَشَقَّاتِ السَّفَرْ ** بِالصَّبْرِ يَا أَخِي تَكُنْ مِمَّنْ ظَفَرْ

وقوله يتحدث عن ضرورة التوبة والشكر والرجاء والوفاء والرضا والصبر:

وَتَوْبَةٌ خَوْفٌ رَجَاءٌ شُكْرُ ** كَذَا الْوَفَاءُ وَالرِّضَا وَالصَّبْرُ

وقوله مؤكدا بأن من يصبر يجزيه الله من دون شك يوفيه الله يوم القيامة:

وَإِنْ يَصْبِرْ يُجَزْ لَا بُدَّ أَجْرًا ** مُوَفًّى فِي الْمَعَادِ فَخُذْ مَقَالِي

وهنا يشير إلى أهمية الرحمة بالعباد والعفو عنهم مدرجًا الصبر فيه فقال:

تَرْحَمُهُمْ تُرْشِدُهُمْ مَعْ صَبْرِ ** وَالْعَفْوُ عَنْهُمْ كَمَا فِي الذِّكْرِ

وفي هذا البيت يحث على الرضا بالقضاء والقدر ثم أشار إلى أن من يصبر على البلاء يفوز بما يريد فقال:

قَضَاءُ اللهِ فَارْضَيَنْ عَلَى الدَّوَامْ ** وَاصْبِرْ عَلَى الْبَلَاءِ فُزْتَ بِالْمَرَامْ

هذا، وقد وردت نصوص في الكتاب والسنة تؤكد لنا أهمية الصبر وضرورة ملازمته في الأمور كلها. قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [سورة آل عمران: 200]. وقوله: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [سورة الأنفال: 47]. وأما في الحديث فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "إنَّ الصَّبرَ على المصيبةِ يُكْتَبُ بهِ للعَبدِ ثلاثُ مِئةِ درَجةٍ، وإنَّ الصَّبرَ على الطّاعةِ يُكْتَبُ لهُ بهِ سِتُّ مئةِ درجةٍ، وإنَّ الصَّبرَ على المعاصي يُكْتَبُ لهُ بهِ تسعُ مئةِ درجةٍ" (الحنبلي، د،ت رقم 25). إذن، فيمكن القول بأن الأبيات الواردة تجسيد لهذه النصوص المباركة بأسلوب الشيخ الشعري التعليمي.

12) الزهد:

ويقابله في اللغة الرغبة، ويُقصد به عدم الميل إلى الشيء، أمّا في الاصطلاح: فيطلق على الإعراض عن الحياة الدنيا وما فيها من ملذاتٍ وشهواتٍ، وعُرّف أيضاً بأنّه طلب راحة الحياة الآخرة بترك راحة الحياة الدنيا، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- زاهداً في الدنيا؛ طمعاً في نيل الدرجات العليا والنعيم المقيم في الحياة الآخرة، (الشدي، مرجع سابق ص: 48 – 53

بتصرف). فعن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه -أنّ النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: "عَرضَ عليَّ ربِّي ليجعلَ لي بَطحاءَ مَكَّةَ ذهبًا فقلتُ: لا يا رب ولكنِّي أشبعُ يومًا وأجوعُ يومًا فإذا جُعتُ تَضرَّعتُ إليكَ وذَكَرتُكَ، وإذا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وشَكَرتُكَ" (السيوطي، 2006م رقم 5399، والبخاري، 5409 ومسلم، 2064)، وورد أنّ النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لم يعب طعاماً قطّ، إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه" (السيوطي، المرجع نفسه رقم 23 - 47). ومن مظاهر الزهد قوله:

ثَالِثُهَا اسْتِحْضَارُ أَنَّ الدُّنْيَا ** زَائِلَةٌ لَيْسَتْ بِدَارِ بُقْيَا
وَأَنَّ الْآخِرَةَ قَدْ تَأْتِيكَا ** بَاقِيَةً بَادِرْ إِلَى مُنْجِيكَا
وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا مُسَافِرٌ وَلَا ** بُدَّ مِنَ الرُّجُوعِ حَتَّى تَصِلَا

يشير إلى أنه على الإنسان المسلم الاعتقاد في النفس بأن هذه الدنيا زائلة دار فناء وليست دار بقاء، وأنّ الآخرة باقية فعلى الإنسان أن يبادر بالتوبة والزهد عن الدنيا إلى الله عز وجل، وعليه أن يعتبر كونه في الدنيا بصفة مسافر ولا بد للمسافر أن يعود حيث أتى. وقد كان للزهد مكانة في القيم الإسلامية إذ أنّ الباري عز وجل قال: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [سورة طه: 131] وقال تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [سورة الحديد: 20] وفي الحديث عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ازْهَدْ في الدنيا يُحبُّك اللهُ، وازهَدْ فيما عند الناسِ يُحبُّك الناسُ" (النووي، مرجع سابق رقم 31) وقد استطاع الشيخ أن يظهر هذه القيمة النبيلة في الأبيات الثلاث معتمدا بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

13 التواضع:

ورد الأمر من الله -تعالى- لرسوله -عليه الصلاة والسلام- بالتواضع، إذ قال: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [سورة الحجر: 88] ، ويُقصد بالتواضع انكسار القلب وخضوعه لله -تعالى-، مع خفض الجناح والرحمة للعباد، ومن أعظم وأجلّ صور التواضع؛ التواضع لله تعالى، إذ كان النبي -عليه الصلاة والسلام- شديد التواضع لربه، قائماً بالعبادات والأوامر، ناهياً العباد عن الغلو في إطرائه والثناء عليه؛ لئلا يصل العباد بذلك لعبادته من دون الله -تعالى-، كما كان النبي متواضعاً للعباد، فكان يمرّ بالصبيان ويلقي السلام عليهم، كما كان حريصًا على عيادة المرضى، وحضور الجنازة، وإجابة الدعوة، وعُرف بحُسن عشرته لزوجاته.. (الشدي، مرجع سابق ص: 97 – 104 بتصرف) وقد وردت مظاهر قِيَم التواضع في أكثر من بيت حيث يقول:

وَاسْتَحْيِيَنْ تَوَكَّلَنْ وَلْتَرْحَمَا ** تَوَاضَعَنْ وَلِلصَّغِيرِ فَارْحَمَا

حيث يشير إلى ضرورة الحياء والتوكل ثم التواضع والرحمة بالصغار كما ورد في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "ليس منّا من لم يرحَمْ صغيرَنا ويُوقِّرْ كبيرَنا" (الترمذي، مرجع سابق رقم 1919).

سِتْرُ الْقَبَائِحِ كَذَا التَّوَاضُعُ ** حُبُّ الرِّيَاسَةِ كَذَاكَ الطَّمَعُ

إذ أشار إلى أن ستر قبائح العباد ملتمزما بالتواضع والابتعاد عن حب الرياسة والطمع، ويقول:

آدَابُهَا بِحُسْنِ عِشْرٍ يَا فَتَى ** طَلَاقَةُ الْوَجْهِ تَوَاضُعٌ أَتَى

هنا يحدثنا عن حسن المعاشرة وأن يكون الإنسان طليق الوجه متواضعا.. وعن أبي سعيد الخدري: "من تواضعَ للَّهِ رفعَهُ اللَّهُ ومن تُكبِّرَ وضعَهُ اللَّهُ ومن أكثر ذِكرَ اللَّهِ أحبَّهُ اللَّهُ" (البخاري، رمجع سابق رقم 5998). فهذه الأبيات إشارة واضحة إلى التزام الشيخ بالدعوة إلى قيمة التواضع في الحياة عملا بالنصوص المذكورة.

14) الرفق:

ويُقصد به اليسر والسهولة في الأمور، فقد كان النبي -عليه الصلاة والسلام -رفيقاً، ومن صور رفقه اختياره للأمور اللينة (ملوح، 2013م ص: 85)، إذ روى الإمام مسلم في صحيحه أنّ النبي - عليه الصلاة والسلام: (ما خُيِّرَ بيْنَ أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُما أَيْسَرُ مِنَ الآخَرِ، إلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، ما لَمْ يَكُنْ إثْمًا) (الأرنؤوط، رقم 24549 البخاري، 6786، مسلم، 2327)، ومن مظاهر قِيَم الرفق بعباد الله قول الشيخ مؤكدًا ضرورة الرفق بعباد الله:

وَالرِّفْقُ بِالْعَبِيدِ وَالْقِيَامُ ** بِالْأَمْرِ مَعْ عَدْلٍ وَذَا مَرَامِ

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللَّهمَّ ارْفُقْ بمَن رَفَقَ بأُمَّتي، وشُقَّ على مَن يَشُقُّ عليها" (المرجع نفسه رقم 26237، مسلم، 1828)، فإنّ الرفق بعباد الله أمر ضروري وقيمة من قيم الإسلام السمحة.

وبالجملة، فإنّ الشيخ استطاع ببراعته الاعتناء بالشعر التعليمي في مختلف مؤلفاته؛ ملتزما بضرورة الاعتصام بالقيم الإسلامية السمحة، حيث قام بتجسيدها من خلال الدعوة إلى الربانية والوسطية والتكامل والشمولية والإنسانية وغيرها عن طريق الدعوة إلى كثرة تلاوة القرآن وتدبره، والصدق، والرحمة، والأمانة، والكرم، والجود، والتزكية، والعدل، والإحسان، والصبر، والزهد، والتواضع وغيرها، مما يؤكد للقارئ تضلعه المفرط في الثقافة الإسلامية بمختلف فروعها وزواياها.

الخاتمة

فقد تناول هذا البحث أثر القيم الإسلامية في التوجيه والإصلاح من خلال مؤلفات الشيخ غوني مود غوني كولو البرناوي، من خلال دراسة تحليلية لنصوصه ومنظوماته التعليمية التي زخرت بالقيم التربوية والأخلاقية والدعوية. وقد أظهر البحث مدى اهتمام الشيخ بغرس المبادئ الإسلامية في نفوس المتلقين، معتمدًا في ذلك أسلوبًا شعريًا تعليميًا يجمع بين جمال العبارة وعمق المعنى وسهولة التلقي .وقد تبين من خلال الدراسة أن الشيخ غوني مود غوني كولو لم يكن شاعرًا ومربّيًا فحسب، بل كان صاحب مشروع إصلاحي تربوي يهدف إلى تقويم السلوك الإنساني وربط المجتمع بالقيم الإسلامية السمحة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

نتائج البحث

توصل البحث إلى جملة من النتائج، من أبرزها:

1. أن مؤلفات الشيخ غوني مود غوني كولو البرناوي تمثل مصدرًا مهمًا في ترسيخ القيم الإسلامية والتوجيه التربوي داخل المجتمع.
2. أن الشيخ اعتمد الشعر التعليمي وسيلة فعالة في نشر المبادئ الإسلامية وتقريبها إلى الأذهان.
3. أن القيم الإسلامية الواردة في مؤلفاته تنوعت بين القيم التعبدية، والأخلاقية، والاجتماعية، والتربوية.
4. أن من أبرز القيم التي ركز عليها الشيخ: تلاوة القرآن الكريم، وصلة الأرحام، والصدق، والرحمة، والأمانة، والعدل، والإحسان، والصبر، والزهد، والتواضع، والرفق.
5. أن الشيخ استند في دعوته الإصلاحية إلى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، مما أكسب مؤلفاته قوة علمية وتأثيرًا تربويًا.
6. أن مؤلفات الشيخ أسهمت في توجيه المجتمع نحو الالتزام بالأخلاق الإسلامية، ومحاربة الظواهر السلوكية السلبية.
7. أن النتاج الأدبي للشيخ يعكس سعة ثقافته الإسلامية وتمكنه من توظيف الأدب في خدمة الدعوة والإصلاح.

التوصيات:

وفي ضوء ما توصل إليه البحث، يوصي الباحث بما يلي:

1. العناية بتراث الشيخ غوني مود غوني كولو البرناوي جمعًا وتحقيقًا ودراسةً؛ لما يحتويه من فوائد علمية وتربوية.
2. تشجيع الباحثين على دراسة الأدب الإسلامي والشعر التعليمي في منطقة برنو وإبراز أعلامه وجهودهم الإصلاحية.
3. إدراج بعض مؤلفات الشيخ ضمن المناهج الدراسية في المؤسسات الإسلامية للاستفادة من مضامينها التربوية والأخلاقية.
4. الاهتمام بالقيم الإسلامية في الدراسات الأدبية والتربوية؛ لما لها من أثر في إصلاح الفرد والمجتمع.
5. إقامة الندوات والمؤتمرات العلمية للتعريف بجهود علماء برنو في خدمة الثقافة الإسلامية والأدب العربي.
6. العمل على نشر مؤلفات الشيخ وتحقيقها إلكترونيًا وورقيًا حفاظًا عليها من الضياع وتمكينًا للباحثين من الاستفادة منها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع والمصادر

- آبادي، محمد شمس الحق العظيم آبادي: **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، المكتبة السلفية، المدينة المنورة –المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية،1389 هـ1969/م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت – لبنان، ج.12
- أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مكتبة الخانجي، مصر، 1412هـ/1996م
- أحمد، محمد شيخ: **القيم الأخلاقية لرعاية حقوق الإنسان في ضوء السنة النبوية والمقاصد الشرعية**، مطبعة جامعة إفريقيا العالمية، د،ت
- الأصفهاني، الراغب: **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق :صفوان عدنان داوودي، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق – سوريا، والدار الشامية، بيروت – لبنان،1418 هـ1997/م.
- الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل: **الأدب المفرد**، دار صادر، بيروت – لبنان، 2006م
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة السلمي: **سنن الترمذي**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة والثلاثون، 2008م
- الحنبلي، عبد الرحمن بن رجب: **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، دار البشائر الإسلامية، القاهرة – مصر، د،ت.
- الخطيب، شيبان علي: **القيم العليا في الإسلام**، دار صادر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى،2003 م.
- الذهبي، عبد الله بن محمد: **تلخيص العلل المتناهية**، مكتبة الفرقان، دبي – الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2013م
- الزحيلي، وهبة :أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا 1406هـ/1986م
- زهران، حامد عبد السلام: **علم النفس الاجتماعي**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، 2013م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: **الجامع الصغير**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2006م
- الشدي، عادل بن علي: **عشرون جوهرة من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم**، مدار الوطن للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى،2014 م.
- شعيب الأرنؤوط: **تخريج المسند**، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، د،ت
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب: **المعجم الكبير**، الجزء الثاني والعشرون، 2002م
- الطبرسي، الفضل بن الحسن: **مجمع البيان في تفسير القرآن**، مطبعة العرفان، صيدا – لبنان، الطبعة الخامسة والعشرون،2018 م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد الكناني: **بلوغ المرام من أدلة الأحكام**، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس – ليبيا، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، دار الجيل، بيروت – لبنان، ج.4

- كاظم، محمد إبراهيم: **التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية**د،م،ط/د،ت المانع، محمد مانع: **القيم بين الإسلام والغرب**، دار الفضيلة، الرياض – المملكة العربية السعودية.
- مقابلة مع الخليفة أحمد التجاني غوني مود غوني كولو، بزاوية الشيخ غوني مود غوني كولو، ميدغري – نيجيريا، يوم الخميس 4 ديسمبر2021 م، الساعة الرابعة مساءً.
- مقابلة مع السيد أحمد غوني مود غوني كولو، بزاوية الشيخ غوني مود غوني كولو بحارة مافوني، ميدغري – نيجيريا، يوم السبت 22 يناير2022 م، الساعة الثالثة مساءً.
- ملوح، عبد الرحمن: **الحياة الإيمانية في ضوء علاقة الابتلاء والنفس الإنسانية**، دار المشرق، دمشق – سوريا، 2013م
- النووي، يحيى بن شرف: **الأذكار من كلام سيد الأبرار**، مكتبة نزار مصطفى الباز، دمشق – سوريا، الطبعة الثانية، 2006م
- يونس، إدريس أحمد: **الشيخ محمد بن محمد كولو اليرواوي شاعرًا :دراسة أدبية تحليلية لنماذج المدح والتوسل**، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الدراسات العليا، جامعة عثمان بن فودي، صكتو – نيجيريا، 2012م.